الدرس الثاني والعشرون: إخلاص العمل لله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع صاحب النقب، أخرج ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار عن حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا أبو عمرو الصّفّار قال: حاصر مَسْلَمَةُ بن عبد الملك حصنا فندب - أي حث - الناس إلى النقب - أي النفق -، فما دخله أحد، حتى جاء رجل من عرض الجيش - أي جيش المسلمين - فدخله وعالج الباب - أي تعامل مع الباب - فكسره، ففتحه الله عليهم، فنادى مَسْلَمَةُ على صاحب النَقَب فما جاء أحد.

قال: فليدخل عليَّ ساعة يأتي. فأتى رجل فقال للحاجب - أي الحارس -: استأذن لي على الأمير.فقال: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه.فأتى مسلمة فأخبره الحاجب، فأذن له، فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا: ألا تسودوا - أي تكتبوا - اسمه في صحيفة الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه من هو؟ قال مسلمة: نعم فمن هو؟ قال الرجل: أنا هو ثم اختفى، فكان مَسْلَمَةُ لا يصلى صلاة إلا قال: اللهم اجعلنى مع صاحب النقب.

ولقد حثنا الله ♣ على الإخلاص في الأعمال، فقال تعالى على لسان إبراهيم صلى الله عليه وسلم :{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:162]، وقال تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:5].

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ☺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:"إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ -[1]، وعَنْ

(1) (صحيح) أخرجه (خ)2392 و(م) 1907.

مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ☺ : أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:"**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ** -، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ:"**الرِّيَاءُ يَقُولُ الله ♣ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً** -[1].

أخي الحبيب، قال أحد الحكماء: مَثَل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كَمَثَلِ رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما ملأ كيس هذا الرجل! ولا منفعة له سوى مقالة الناس، ولو أراد أن يشتري شيئا لا يُعْطَى به شيئا، كذلك الذي عمل العمل لِيُرائي الناس لا ثواب له في الآخرة كما قال الله تعالى:{**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً(23)**} [الفرقان:23]، يعنى أن الأعمال التى عملوها لغير وجه الله أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور، وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس، فالرجلان بجوار بعضهما، يصليان صلاة واحدة، وخلف إمام واحد، وبينهما كما بين الأرض والسماء.

الله أكبر! كم من عمل صغير تكبره النية، وكم تبلغ مجرد النية بأصحابها ولو لم يعملوا، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ☺ : أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنْ الْمَدِينَةِ فَقَالَ:"**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ** -قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ:"**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ** -[2].

وهذا والله هو الفضل أن تنوي الخير وتسبق بنيتك، فلا تحرم نفسك من هذا الفضل العظيم، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل منهما؟!! إنه الإخلاص رفع الله به قوماً، ووضع بتركه آخرين(41).

قال تعالى:{**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً (142)**} [النساء:142].

معاشر الإخوة، من الوسائل التى تعين على تحقيق الإخلاص ما يلى:

(1) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في ص.ج 1555.
(2) (صحيح) أخرجه (خ) 4161.

أولاً: أن تعرف ما هو الإخلاص؟ والإخلاص: أن يكون العمل لله لا ترى فيه نفسك ولا حظوظها، ولا ترى فيه الخلق؛ وعلامة الإخلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، وليس معنى ذلك أن تعذب نفسك بكثرة الوساوس، وهل أنت مخلص أم مُرَاءٍ، فتنبه؛ فكم من الناس يحرمون أنفسهم من الأعمال بحجة: نخشى أن نقع في الرياء. يتركون الكثير من الأعمال بحجة أن هذا العمل رياء، والعلاج تصحيح النية.

ثانياً: معرفة الله وعظمته وقدرته وفضله**{وَلَوْلا فَضْلُ** الله **عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ** الله **يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** [النور:21]، فهل ينظر للخلق من عرف الله بحق؟! بالطبع لا.

ثالثاً: معرفة النفس وأنها جاهلة ظالمة طبعها الكسل وحب الشهوات، والظهور، فتذكر يا ابن آدم أنك تموت، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، فتنبه!! فلا يغرك الناس فأنت أعلم بنفسك.

رابعاً: اعلم أنك عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده أجراً، إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته، فما يناله من سيده من الأجر فهو تفضل منه.

خامساً: أنت مخلوق ضعيف**{خُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}** [النساء:28]، فَأكثر من الاستعانة بالله، وألح عليه بالدعاء أَن يرزقك الإخلاص قبل العمل، وأثناء العمل وبعد العمل، واستعذ بالله من شر نفسك ومن الرياء،

فَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى ☺ فَقَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ:**"أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ** - فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ:**"قُولُوا اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ** -[1] (54).

إخوتي في الله، هناك أمور يجب التنبيه عليها في مسألة الإخلاص:

أولاً: إخفاء الأعمال علامة على الإخلاص لكنه ليس شرطاً

(1) (حسن لغيره) أخرجه (حم طس ش) وحسنه الألباني صت 36.

للإخلاص، المهم ألا تقصد نظر الناس إليك، ولا يهمك نظرهم وقولهم.

ثانياً: ليس من الرياء نشاط العبد للخير عند مجالسة الصالحين، فإن مجالستهم تبعث على النشاط وعلو الهمة، فليكن عملك لله وليس لهم وإن كانوا سبباً في تشجيعك للعمل، لكن احذر الكسل على الدوام، قال علي ابن أبي طالب ☺ : للمرائي علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به.

ثالثاً: ثناء الناس ومدحهم لا ينافي الإخلاص، بل قد يكون عاجل بشرى المؤمن، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ☺ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ:"**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ** -[1]، لكن إياك أن يكون العمل طلباً للثناء، أو حتى انتظار الثناء من المخلوقين، فالمخلص يفر من الشهرة، ولكن الله يضع له القبول في الأرض فيسر العبد بفضل الله، قال ابن رجب: وهنا نكتة دقيقة، وهي أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس، يريد بذلك أن يُري الناس أنه متواضع، فيرتفع بذلك عندهم.

رابعاً: ليس معنى الإخلاص ترك العمل خوفا من الرياء، قال الفضيل ابن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. نسأل الله أن يعافينا وإياكم منهما.

خامساً: يقول ابن القيم رحمه الله: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(1) (صحيح) أخرجه (م) 2642.